وفي التحليل البنيوي للصراع العربي الاسرائيلي تنقسم تراكيب الاستقطاب ، فتكون الثنائية الأساسية بين الشرق والغرب ، بين الخيال والعقلانية ، وبين المرض والصحة .

لقد سئل صانعو السياسة في مؤتمر عقد قبل سنوات عديدة وأشرف عليه غوستاف فون غروشيباوم من خلال شل الدولية ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن ، أن يدرسوا العلاقة بين « الحرب والتقنية والمجتمع في الشرق الأوسط » ، والمنطق التالي نقدمه كأحد الايضاحات على المجتمع « الحربي » المفترض في العالم الاسلامي :

« ... لقد مالت بعض الدراسات الانثروبولوجية الاخيرة لأن تعطي بعض الوزن الجدي لآراء اوروبيي القرن التاسع عشر الذين قالوا أن بنية العائلة الاسلامية ، وموقع النساء في القانون ، والأبوية الصارمة ، والتركيز الذي تحظى به فضائل الذكورة ، تعطي المجتمع الاسلامي طابعاً طغيانياً عدوانياً يعبر عن نفسه بشكل طبيعي في الحرب » مقابل هذا النمط الاجتماعي (القائم على) « الخيال » الغربي الانعكاسي ، وضعت اسرائيل « الواقعية » التي يوازن قادتها بشكل دقيق بين « الرؤية الشاملة الثابتة والمهارات التكتيكية » ، ومع الاقرار ببعض الخاصيات الجغرافية فان المعالجة على أساس الثنائية تبقى شيئاً ثابتاً .

واستناداً إلى ادوارد شيهان ، نصح كسنجر بأن يتعاطى مع سوريا من ضمن الاقرار بـ « المشروطيتين التوأمين » في « العقل المشرقي » : « أعراض البادية » « وأعراض القصبة » ، والمقايضة مع المشرق تتطلب مفاوضاً يميز « المماحكة » في طباع القصبة عن العودة عن الخطأ التي تستدعي الطباع البدوية من أجل إنجازها تدخل الوسيط (شيبهان ١٩٧٦ ، ص ١١٩ ــ ١٢٠) وقد حاضر في ايار ١٩٧٩ باحث في قسمINR في وزارة الخارجية وكان ذلك في إحدى الجامعات الأميركية عن النظرة العالمية السعودية بوصفها تنقسمإلى دار الحرب ودار الاسلام ، مع تقديم مجموعة متوازنة من الذميين التي تزود بمعنى التركيز على الحرب وعلى ديناميكيتها .

وفي درسه العظيم لعلم فقه اللغة عند الشرقيين ، وللانثروبولوجيا والتأريخ ، اعاد سعيد دمج عنصري الفصل الثنائي المزيف للثقافة العربية ، كاشفاً عن التصور المركزي الراهن لدى الاستشراقيين بالنسبة للمجتمع العربي ، فالعربي وعلى الصعيدين الشخصي والسياسي ، يتم النظر إليه كخليط شاذ من العدوانية الذكورية والسلبية الانثوية ، وهو خليط يستحيل الى عجز على المستوى السلوكي .

وينظر ضمنياً إلى الزبائن العرب بوصفهم سلبيين ويمكن معالجتهم من خلال المداهنة والاغراءات المادية . وهذه السلوكية الشبيهة بسلوكية الالعوبة يمكن أن تخفي نفسها بلغة تقريرية ، حتى حين يكون الزبون العربي إياه خاضعاً لحكم السلطة الغربية ، ويجب التودد للزبائن العرب الذين يجب « كسبهم » من موقع ثنائيتهم هذه .

وقد قال شيهان ان تقنية كسنجر في ممارسة السحر والتعذيب الشخصيين قد استعملت لهذا الهدف في أثناء زيارته إلى دمشق في أيار ١٩٧٤ . وقد قيل عن كسنجر أنه التفت إلى عبد الحليم خدام « وزير خارجية الأسد الشاب الذي يتنفس ناراً » وقال له : « مثل هذه العيون الزرقاء الجميلة (...) الن تأتي معي إلى اسرائيل ؟ سأرتب أمورك مع غولدا » . وفي مناسبة